تراثنا

نشرة فصلية تصدرها
مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

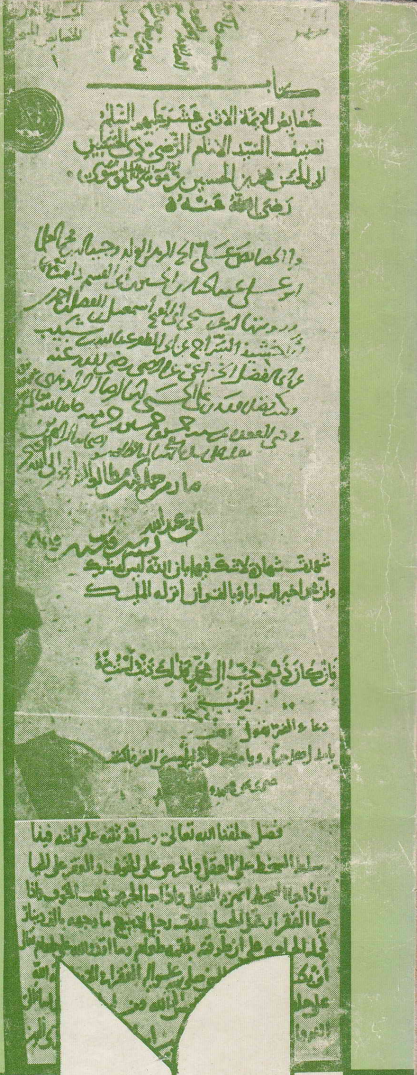

عدد خاص

بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة الشريف الرضي

العدد الخامس - السنة الأولى - ١٤٠٦ هـ

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت ـ عليهم السّلام ـ لإحياء التراث

■ الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والمهتمّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام.

■ الآراء المنشورة لا تعبّر عن رأي النشرة بالضرورة.

■ ترتيب المواضيع يخضع لاعتبارات فنّية، وليس لأيّ اعتبار آخر.

■ النشرة غير ملزمة بنشر كلّ ما يصل إليها.

المراسلات:

تعنون باسم: **هيئة التحرير**

صفائية ـ ممتاز ـ پلاك ٧٣٧ ـ ت: ٢٣٤٥٦

ص . ب ٤٥٤ ـ قم ـ الجمهورية الإسلامية في إيران

إسم النشرة: تراثنا

العدد الخامس ـ السنة الأُولى ـ ١٤٠٦هـ . ق.

عدد خاصّ بمناسبة مرور ألف عام على وفاة الشريف الرضيّ (٣٥٩ ـ ٤٠٦هـ).

الإعداد والنشر: مؤسسة آل البيت ـ عليهم السّلام ـ لإحياء التراث.

العدد: ١٠٠٠ نسخة

صورة الغلاف: الورقة الأُولى من مخطوطة كتاب «خصائص الائمّة» للشريف الرضيّ، كتبت سنة ٥٥٥هـ.

المفاضلة بين الرضيّ والهرويّ

السيّد أحمد الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد والمجد

الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي البغدادي، شاعر طالبيّ مُفْلِق مكثر، سار شعرُه في دنيا الأدب سيرَ الشمس عند الظهيرة، وأذعن معاصروه -بما فيهم من وفرة الشعراء والمتازين من أرباب القول والكلام- بتقدّمه في الشعر وإمامته في الأدب، مع ما عُرف قديماً بأنّ الشاعر المكثر تقلّ محاسن شعره ويكثر المبتذَل في نظمه.

«إبتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل، وهو أبدع أبناء الزمان... ثمّ هو أشعر الطالبيّين، من مضى منهم ومن غَبَر، على كثرة شعرائهم المُفْلِقين... ولو قلتُ إنّه أشعر قريش لم أبعُد عن الصدق، وسيشهد بما أُجريه من شعره العالي القِدْح الممتنع عن القَدْح، الذي يجمع إلى السلاسة متانة، وإلى السهولة رصانة، ويشتمل على معان يقرب جَناها ويبعد مداها»(١).

«و له شعر إذا افتخر به أدرك من المجد أقاصيه، وعقد بالنجم نواصيه، وإذا نُسب انتسب الرقة إلى نسيبه، وفاز بالقِدْح المعلّى من نصيبه... وورد شعرُه دِجْلَتها -أي بغداد- فشرب منها حتى شَرِقَ، وانغمس فيها حتى كاد أن يقال غَرِقَ»(٢).

---

(١) يتيمة الدهر ٣/١٣٦.

(٢) دمية القصر ١/٢٨٨.

و قد «يسمّيه الأُدباء النايحة الثكلى لرقّة شعره... ويقال: أشعر قريش. قلت: معناه أنّه ليس لقرشيّ كثرة جيّدة»(٣).

قال الخطيب البغدادي: سمعت أبا عبدالله محمد بن عبدالله الكاتب بحضرة أبي الحسين بن محفوظ -وكان أحد الرؤساء- يقول: سمعتُ جماعة من أهل العلم بالأدب يقولون: الرضيّ أشعرُ قريش. فقال ابن محفوظ: هذا صحيح. وقد كان في قريش من يُجيد القول إلاّ أنّ شعره قليل، فأمّا مجيد مكثر فليس إلاّ الرضيّ(٤).

نعم «إنّ شعر الشريف الرضي -و إن يكن قديمَ الأُسلوب- ظاهرُ البلاغة، عالي النَفَس مديده، قويُّ النسج، واضحُ التعابير، فيه مَتانة وسهولة ورَصانة، تظهر فيه شخصية صاحبه، شخصية نبيلة عزيزة النفس أبيّة طموح، وقلّما قرأت له قصيدة -في أي نوع من أنواع الشعر- إلاّ أحْسَسْتَ فيها روحَ الفخر وشكوى الزمان والشيب»(٥).

* * *

من طريف ما صنعه أديب متذوّق من أُدباء القرن الخامس الهجري، أن أجرى مفاضلة بين شاعرين فحلين لهما شهرة وصيت في عالم الأدب العربي في تلك الحَقْبَة الزمنية وما تلتها من الأحقاب، هما الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي البغدادي والقاضي أبو أحمد منصور بن محمد الأزدي الهروي، شاعرا العراق وخراسان وفحلا القطرين المتسابقين في حلبة الأدب.

قدّم أديبنا الذوّاقة قصيدة رائيّة للرضيّ وقصيدة دالية للهرويّ، معتذراً عن عدم وقوفه على قصيدتين لهما من قافية واحدة في غرض مشترك حتى تتمَّ عناصر المفاضلة بين الشاعرين، فاختار هاتين القصيدتين وقدّمهما للمفاضلة بين الشاعرين لأنّه يعلم أنّ الأديب يستدلّ بمباني الكلام ومعانيه وصيغة ألفاظه على درجة الشاعر، ويميز بين المتقدّم الفاضل عن المتأخّر المفضول.

أمّا الأديب الذي أجرى المفاضلة وأتحفنا بهذه الدرّة اليتيمة من هو؟

فهذا سؤال لم نهتد إلى جوابه، إلاّ أنّه يبدو من تقديمه المقتضب للقصيدتين رفيع أدبه

---

(٣) الوافي بالوفيات ٢/٣٧٤.

(٤) تاريخ بغداد ٢/٢٤٦.

(٥) ديوان الشريف، المقدمة ١/٦.

الشعري والنثري، بالإضافة إلى قول إسماعيل الأديب فيه عند حكومته بين الشعرين: «ولو لا اقتراح هذا الفاضل، المحتوي على أجناس الفضل، المتشبّث بأفنان فنون الأدب، لما أثبتُّ هذا الفصل».

و أمّا المشاركون في هذه الحكومة الأدبية، فهم:

١ ـ الفضل بن إسماعيل.

٢ ـ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، المتوفّى سنة ٤٦٨.

٣ ـ أبو نصر صاعد بن الحسين الزوزني.

٤ ـ زكريا بن الحسن بن زكريا الزوزني.

٥ ـ إسماعيل بن الحسن الأديب.

إتّفق هؤلاء الأُدباء على تقدّم شعر الرضي على شعر الهروي، وأنّه أعلى شأواً، وأسنى مقصداً، وأشرق لفظاً، وأعمق معنى، مع اختلافهم في تعابيرهم واحتياط بعضهم في الحكومة.

و يزيدُ في قيمة هذه المفاضلة أنّ قصيدة الرضيّ من شعره غير المنشور، فإنّها لم ترد في ديوانه المطبوع في مطبعة نخبة الأخبار بالهند سنة ١٣٠٦، ولا في طبعة دار صادر ببيروت. ويكفي لإثبات نسبتها إليه أنّ هؤلاء الأُدباء المعاصرين له أو المقاربين لعصره سجّلوا حكومتهم من غير شكّ أو ترديد في صحّة النسبة.

* * *

الشريف الرضي محمد ابن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السّلام، الموسوي العلوي البغدادي.

نشأ في كنف والده أبي أحمد منشأ جمع كل صفات النبوغ والتقدّم، وعُني بتربيته شيخ الشيعة محمد بن محمد بن النعمان المفيد التلعكبري البغدادي عناية جعلته من الأعلام البارزين الّذين يفتخر بهم التاريخ الإسلامي عبر القرون.

كان مبرزاً فاضلاً، عالماً ورعاً، عارفاً بالفقه والفرائض معرفة قوية، إماماً في اللغة والعربية لا يُشقُّ غبارُه، مترسّلاً ذا كتابة جيدة، أوحدَ الرؤساء، عظيمَ الشأن، رفيعَ المنزلة، له المكانة العالية عند خلفاء زمانه وملوك عصره.

بدأ دراسته على الشيخ المفيد في سنّ مبكرة، وقرأ عند أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد ابن محمد الطبري، وابن السيرافي النحوي، وغيرهما.

و كان شاعراً مُفْلِقاً، فصيحَ النظم، ضخمَ الألفاظ، قادراً على القريض، متصرّفاً في فنونه، وهو أشعر الطالبيّين، ويقال أشعر قريش. إبتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل، وجُمع شعرُه في ديوان ضخم يتداوله دارسو الشعر العربي.

و كان عفيفاً شريف النفس، عاليَ الهمّة، ملتزماً بالدين وقوانينه، ولم يقبل من أحد صلة ولا جائزة، حتى انّه ردّ صلات أبيه. وقداجتهد بنو بويه على قبوله صلاتهم فلم يقبل منهم شيئاً.

من مؤلفاته «نهج البلاغة» و «تلخيص البيان عن مجازات القرآن» و «المتشابه في القرآن» و «مجازات الآثار النبويّة» و «خصائص الائمة» و «رسائله إلى الصابي».

توفّي رحمه الله في شهر محرّم الحرام سنة ستّ وأربعمائة ـ وقيل أربع وأربعمائة ـ وحضر الوزير فخرالملك وجميع الأعيان والأشراف والقضاة جنازته والصلاة عليه، ودفن في داره بمسجد الأنباريّين بالكرخ، ومضى أخوه المرتضى من جزعه عليه إلى مشهد الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام، لأنّه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته ودفنه، وصلّى عليه فخر الملك أبو غالب، ومضى بنفسه آخر النهار إلى أخيه المرتضى بالمشهد الشريف الكاظمي، فألزمه بالعود إلى داره.

(أنظر: يتيمة الدهر ٣/١٣٦، دمية القصر ١/٢٨٨، رجال العلامة الحلّي ص١٦٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٣١، الدرجات الرفيعة ص٤٦٦، وفيات الأعيان ٤/٤١٤، الوافي بالوفيات ٢/٣٧٤، شذرات الذهب ٣/١٨٢، روضات الجنّات ٦/١٩٠، رياض العلماء٥/٧٩).

* * *

القاضي أبو أحمد منصور ابن القاضي أبي منصور محمد ـ ويقال أحمد ـ الأزدي الهروي.

كان فقيهاً، كثيرَ الفضائل، حسنَ الشمائل، قاضي هراة.

تفقّه على أبي أحمد الاسفرايني في بغداد، وسمع أبا الفضل بن حمدويه والعباس بن الفضل النضروي وغيرهما.

و كان شاعراً مجيداً، كثيرَ الشعر مختلفَ الأغراض، يبلغ ديوانه أربعين ألف بيت. كما أنّه كان ناثراً بليغاً، له رسائل في منتهى البلاغة والفصاحة.

قال الباخرزي في دُمية القصر: «أفضلُ مَن بخراسان على الإطلاق وأطبعهم بالإتّفاق، يرجع إلى نظم أحسن من انتظام الأحوال، ونثر كما يهيّء الدرّ عن اللآل... وقد أُوتي حظّاً وافراً من حياته، وبلغ أرذلَ العمر من وفاته، فانطعن تحت رحيّاته، وأثّر فيه الهرم تأثيراً نشف ريّه وأطر سَمْهَريّه، وحجب طرفَه وإن لم يحجب ظرفه، وكفّ ألحاظه وإن لم يكفّ ألفاظه، وقصّر من خطواته وإن لم يقصّر من خطراته».

توفّي سنة أربعين و أربعمائة.

(أُنظر: دمية القصر ٨٩/٢، معجم الأدباء ١٩١/٩، يتيمة الدهر ٣٤٧/٤، الأعلام للزركلي ٣٠٣/٧).

* * *

نسخة «المفاضلة» المخطوطة التي رجعنا إليها، من نوادر مكتبة آية الله المرعشي العامة في قم، وهي في مجموعة برقم (٤٠٤٧) معها رسائل أُخرى كما يلي:

١ ـ ديوان شعر، لم نعرف صاحبه.

٢ ـ المفيد في التصريف، للزمخشري.

٣ ـ المفاضلة بين الرضي و الهروي.

٤ ـ الزاجرة للصغار عن معارضة الكبار، للزمخشري.

٥ ـ أُدباء الغرباء، لأبي الفرج الإصبهاني.

٦ ـ نزهة العشّاق ونهزة المشتاق، لعين القضاة الهمداني.

٧ ـ حسيب النسيب للحسيب النسيب، للراوندي.

هذه المجموعة النادرة كتبت في القرن السابع الهجري بخطوط أشخاص يظهر أنهم كانوا من المعنيّين بالأدب العربي. ورسالة «المفاضلة» بخطّ أبي نصر عتيق بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن خليل بن عمر بن سنان الصدّيقي، كتبها في جمادى الأُولى سنة ٦٥٧، وهي بخط نسخ مشكول لا يخلو من قوّة. والرسالة مع وضوح خطّها بقي فيها كلمات لم يتبيّن لنا وجه الصواب فيها، فقوّمنا بعضَها بالقياس والتخمين وأبقينا بعضَها كما هي، مع الإشارة في التعليق إلى ما قوّمناه وإلى ما أبقيناه.

* * *

أمّا بعد:

فهذه زهرة ناضرة تبهج النواظر، وباقة عَطِرة تفرح الخواطر، وطُرفةٌ أدبيّة كانت مطمورة في زوايا الخمول، أبرزتُها من خِدْرها كما يراها القُراء الأفاضل، علّها ترضي ذوقهم الأدبي وتنال منهم الرضىٰ والقبول.

والله تعالى من وراء القصد.

قم - إيران **السيّد أحمد الحسيني**

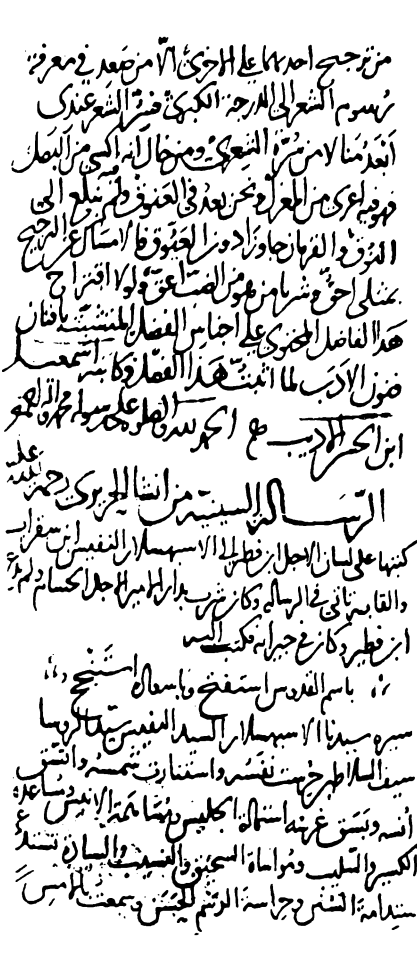

بداية مخطوطة الرسالة

ذكر المولى بالتقدم اولى
افاضل ايمل نيسابور اصغوا الى ذرر كامثال الدراري
وقولوا اي حكموا بالعدل فيهما فانّ العدل منتصح المنار
بحكم فصيل الهدى ضياء لذي عيش من وضح النهار
أأشعار الرضي لديكم ارضى وادخل في نظام الاختيار
ام القاضي احق ذا كل منه واسبق في ميادين الفخار
فانتم كالنجوم الزهر حقا وان الفضل كالقمر المدار
لم اجد الا الكثير على قافية واحدة من بحر واحد في معنى معين
بيد اني حررت قصيدتين من بحر الكامل وان اختلف القافي
والمعاني فانه يستدل بمباني الكلام ومعانيه وصيغ الفاظه
على درجة الشاعر في معرفة جيده من رديه ومعوجه من مستقيمه
والرجلان فخار خراسان والعراق ومن يثني عليهما الخناصر
بالاتفاق فليرجح كل واحد من هواشير عنده واجر الف
لفظا واصح معنى وان للناس في الشعر طرائق ومذاهب
والكلام فنون واساليب والله المستعان وعليه التكلان وصلى الله على سيدنا محمد
قال العامري واحمد منصور [illegible]
قد زار طيفك لو الم تزاوري اهلا به من زائر غادي

نهاية مخطوطة الرسالة

المفاضلة بين الرضي والهروي

ذكر المولى بالتقديم أولى

أفـاضـلَ أهـل نَـيـسـابـورَ أصـغُـوا ... إلى دُرر كـأمـثـالِ الـدَّراري
وقـولـوا واحكـمـوا بـالـعَـدلِ فيـها ... فـإنّ الـعـدلَ مُـتَّضَـحُ الـمَـنـار
بحـكـمِ فَـيـصـل أبـدى ضـيـاءاً ... لـذي عـيـنـيـنِ مـن وَضَـح النهار
ءأشـعـار الـرضـيّ لـديـكـمُ ارْضى ... وأدخـل في نظـام الاخـتـيـار
أم الـقـاضـي أحـقُّ بـذاك مـنـه ... وأسـبـق في مَـيـادِيـن الـفـخار
فـأنتم كـالـنـجـوم الـزُّهْـرِ ضَـوءاً ... وإنّ الـفضـلَ كـالـفَـلَـكِ الـمُدار

لم أجد إلاّ(٦) كلمتين(٧) على قافية واحدة من بحر واحد في معنى معيّن، بَيْدَ أنّي تخيّرتُ قصيدتين من بحر الكامل وإن اختلفت القوافي والمعاني، فإنّه يُستدَلُّ بمباني الكلام ومعانيه وصيغة ألفاظه على درجة الشاعر في معرفة جيِّده من رديّه ومعوجّه من مستقيمه، والرجلان فَحْلا خراسانَ والعراق ومن يُثنى عليهما الخَناصِرُ(٨) بالإ تّفاق.

فليرجِّح كلُّ واحد مَن هو أشعرُ عنده وأجزلُ لفظاً وأصحُّ معنى، فإنّ للناس في الشعر طرائقَ ومذاهبَ، والكلام فنونٌ وأساليبُ.

والله المستعان، وصلّى الله على نبيّه محمّد وآله الطاهرين.

---

(٦) كذا في الأصل، ولعلّ الصحيح «الآن».

(٧) يريد: قصيدتين، فإنّ الكلمة هي القصيدة بطولها.

(٨) الخِنْصِرَ بكسر الخاء وسكون النون وكسر الصاد أو فتحها: الأصبع الصغرى، وقيل الوسطى، يقال: «فلان تثنى عليه الخناصر» أي يبتدأ به إذا ذكر أشكاله.

[١]

قال القاضي أبو أحمد منصور بن محمد الأزدي الهروي:

قد زار طَيفُك لو ألَمَّ(٩) براقِدِ ... أهلاً به من زائر بل عائد
ما كان طَيْفاً طافَ لكن خَطْرة ... خَطَرَتْ على قلبي المُعَنّى الواجد(١٠)
فتماثَلَتْ فيهِ خَيالاً زائراً ... أوْ لا فكيف يصحّ رؤيا السّاهِدِ(١١)
أفدي الذي وَدّعتُ يومَ وداعهِ ... قلبي وصبري في نظام واحد
رشأ (١٢) حكى بَدْرَ السماء طَلاقة ... بطلاقة وتَباعُداً بِتَباعُد
إمّا رَنا(١٣) خَجِلَ الغزالُ، وإنْ مشى ... لم يعتَدِلْ قَدُّ القضيب المائد(١٤)
ياهاجراً ذِكراه تأبى هَجْرَهُ ... وَمُباعِداً والطيفُ غيرُ مباعِد
لو شئتَ علَّلْتَ المحبَّ بموعدٍ ... لا تَبْخَلَنَّ فلستَ أصْدَقَ واعِد
خَلَفْتَني أغْدُو بصبر ناقص ... وجوى(١٥) على مرِّ الليالي زائد
وإذا عَزَمتُ على التجلُّدِ رَدَّني ... شَرْخُ الشباب(١٦) وثقلُ حُبٍّ راكد
ولربَّما لاقَيتُ أسبابَ الهَوى ... بجَوانح(١٧) صُمٍّ وطَرْفٍ جامد

---

(٩) الإلمام: النزول، وقد ألَمَّ به أي نزل به.

(١٠) المُعَنّى: المُتعَب، من عَنِي الإنسان ـ بالكسر ـ عَناءاً: أي تعب ونصب.
الواجد: المحبّ، يقال له بها وجد وهو المحبّة.

(١١) الساهد: الذي يطوي الليل متيقّظاً لا ينام لعارض عرضه، وهو من السهاد بمعنى الأرق.

(١٢) الرشأ ـ بالتحريك ـ: ولد الظبية الذي قوي وتحرّك ومشى مع أُمّه.
و به يشبّه الإنسان الجميل المعتدل في مشيه، الذكر والأُنثى.

(١٣) رنا: نظر طويلاً، يقال رنا إليه يرنو: إذا أدام النظر.

(١٤) المائد: المتحرّك، مِن مادَ الشيء يميد ميداً: تحرّك، ومادت الأغصان: تحرّكت وتمايلت.

(١٥) الجوى: إصابة الحرقة وشدّة الوجد من عشق أو حزن.

(١٦) شرْخ الشباب ـ بسكون الراء ـ: أوّله وريعانه.

(١٧) الجوانح جمع الجانحة: الأضلاع تحت الترائب ممّا يلي الصدر.

ولقد تركتُ لك المذاهبَ كلَّها ... وهجرتُ فيكَ طرائقي ومقاصدي
حسبي جَميلُ تَصَبُّري وَتَجلُّدي ... إنْ صابَني دَهرٌ بِصَوْبِ شدائد(١٨)
أنسَيْتُ أنْ مَدَّ الظَلامُ رواقَهُ ... متنا على شَفْعٍ كشخص فاردِ
بُثْنا وحارِسُنا الدُّجى وكأنّنا ... صَفْوُ المُدامَةِ بالزَّلالِ البارد
ولقدعزمتُ على السَّحاب الجَونِ(١٩) في ... سُقْيا رُسوم بالحِمى ومعاهد
دَمِنٌ صَحِبْتُ الدهرَ في عَرَصاتِها ... نَشْوانَ مُشتَمِلاً بثوبِ مُساعد(٢٠)
حينَ الصِّبا وافى الذوائبَ والهَوى ... عَذْبُ المَوارِدِ مُعْرِض للوارد
زَمَنٌ تَصَرَّمَ وانْقضى فكأنَّهُ ... طَيْفُ الخَيال رأتهُ عينُ الهاجد(٢١)
رَقَّتْ حواشيهِ كما رَقَّ النَّدى ... في أخضَرٍ نَضِرٍ وَأحمرَ جاسِد(٢٢)
وَ صَفا فَلَوْ أنّي عدلتُ عدلتُه ... بشمائلِ الشيخ الجليل الماجدِ
قَدْ فَلَّ صَرْفُ الدهر حَدَّ عزائمي(٢٣) ... جِداً وكَدَّرتِ الخطوبُ مَواردي
وَأرى الليالي قَصَّرَتْ باعي وَلوْ ... أنّصِفْتُ ألْفَتْني طويلَ الساعِد
وَثَنَتْ عِناني جُهْدَها وَلَو انّها ... أطْلَقْنَ مِنهُ بانَ سَبْقُ الذائد(٢٤)
وَ غَدا الزمانُ مُعاندي وَلَو انّهُ ... عَرَفَ الرجالَ لكانَ غَيْرَ مُعاندي
وَ سَعى يَروم ليَ الفسادَ وَلَوْ دَرى ... منْ عُدَّتي لَسَعى لِيُصْلِحَ فاسدي
وَأنا الشِّهابُ خَفَيْتُ في أرضي وإنْ ... سافرتُ لاحَ سَنا الشِّهابِ الواقد(٢٥)

---

(١٨) صابني: أصابني، وصوب شدائد: سهام شدائد، أي إن أصابني دهر بسهام من شدائده (صحاح اللغة: صوب).

(١٩) الجون يطلق على اللون الأبيض والأسود، والمناسب هنا أن يراد منها الثاني، لأنّ السحاب الحامل للمطر الكثير يضرب لونه إلى السواد.

(٢٠) الدَّمِن: المدمن للشراب ولم يقلع عنه. ونشوان: سكران، من نشي الرجل من الشراب نشواً: إذا سكر (لسان العرب: دمن ـ نشا).

(٢١) الهاجد: الساهر بالليل، والنائم ـ من الأضداد ـ، ويراد في البيت المعنى الثاني منها.

(٢٢) الجاسد: شديد الحمرة، وأصله الدم اليابس، والجاسدمن كل شيء: ما اشتدّ ويبس.

(٢٣) فلّ السيف: ثلمه. يريد أنّ تغيّر الدهر سبب في أن يُثنى عمّا عزم عليه ولم يُبق له تلك الإرادة القوية التي كانت تدفعه سابقاً لملاقاة المكاره.

(٢٤) الذائد: اسم فرس نجيب جداً.

(٢٥) الشهاب ـ بكسر الشين ـ : الكوكب المضيء، السنان، لما فيه من البريق. ويراد هنا المعنى الثاني.

وَ أنا الحُسامُ انقَضَّ عَنّي رَوْنَقي ... وَبُلِيتُ مِنْ صَرْفِ الزمانِ بغامِدِ(٢٦)
وَلَقدْ صَعُبْتُ فما تَليـنُ معاجِمي ... للعاجِمينَ ولا تُحَلُّ معاقِدي(٢٧)
وَاشْتَطَّ حُسّادي وَإنْ ظَفَرَت يَدي ... بأبي المظفَّر ثاخَ نجمُ الحاسدِ(٢٨)
لقد اهتدَيتُ من الوزير بكوكب ... في ظُلمة الأيام ليس بخامد
وَمَن اغْتدى الشيخُ الجليلُ عَميدَهُ ... لَمْ يَخْشَ عاديَة الزمان المارد(٢٩)
وَمَن اسْتَظَلَّ ذَراهُ(٣٠) أدرك ماارْتجى ... في ظِلِّ فضل منهُ باد عائد
رجلٌ يُجيرُ على الحوادثِ جارَهُ ... وَيُبيحُ خِصْبَ جَنابهِ للرائد
وَيُفيضُ في طَوْرَيْهِ(٣١) صَوْبُ سَمِينِه ... كالغيثِ [بَيْنَ](٣٢) بَوارق وَرَواعِدِ
مُتَدَرِّعٌ حُلَلَ الأمانةِ باذلٌ ... لِلْمُلْكِ إشفاقَ النصيح الجاهد
و إذا دَجَتْ قُحَمُ الخطوب سِمالَها(٣٣) ... بِعَزائم لِدُجى الخطوب طَوارد
و إذا بنى أُكرومَة بلغَ المَدى ... تَشْبيتَ أركان ورفعَ قواعد
خُلْقٌ كما ابتسمَ الربيعُ وَطَلْعَةٌ ... كالبَدر أشرقَ في الظلام الحاشد
وَ أغَرُّ رَحْبُ الباع نالَ مَراتباً ... في المَجدِ طالِبُهنَّ ليسَ بواجد
يامَنْ لَوْ انَّ الناسَ أيامُ الهوى ... كان الوصالُ عَقيبَ هُجْر آمِد(٣٤)
وَلَوْ انَّهم كانوا فُصولَ زَمانِهِمْ ... كانَ ابتساماً في الربيع الوافد
لمّا ذَكرتُكَ في القريض أفَدْتُهُ ... فخراً يدومُ على الزمان الخالد

---

(٢٦) الغِمْد ـ بكسر الغين ـ جفن السيف، والغامد: واضح السيف والحسام في الغمد.

(٢٧) المعاجم جمع المعجم، وهو موضع الإختبار، ويقال «رجل صلب المعجم» أي صابر ذو صلابة عزيز النفس عند الحوادث. وللعاجمين: العاضين للإختبار والتجربة. والمعاقد: موضع عقد الإزار، كناية عن صلابته وشجاعته وعدم خضوعه.

(٢٨) اشتط حسّادي: أمعنوا في الحسد والعداوة. ثاخ: غاب وخفي.

(٢٩) الزمان المارد: العاتي.

(٣٠) الذرى: الملجأ وكل ما يستتر به.

(٣١) طوريه: حالتيه، حالة الرضا والغضب، أو حالة الإعسار والإيسار.

(٣٢) كلمة لا تقرأ واضحاً في نسخة الأصل.

(٣٣) دجت: أظلمت. القُحم جمع القَحمة ـ بفتح القاف ـ: الأمور الشاقّة المظلمة. الخطوب جمع الخَطْب ـ بفتح الخاء وسكون الطاء ـ: الأمور العظيمة المكروهة. السِّمال: الأثواب.

(٣٤) يمكن قراءة الكلمة في النسخة «آفد»، وهو بمعنى الإستعجال.

وَلَقدْ عَقدتُ على القوافي مِنّة ... بلْ طُلْعَة ليست لها بجواحِد
كانتْ شواردَ نُفّراً حتّى دَرَتْ ... مَنْ ذا مدحتُ فَجِئنَ غيرَ شوارد
وَتَزاحَمتْ فَلَوانّها مُختارةٌ ... لَتَبَدَّلَتْ كلماتُها بقصائد
خَلّصْتُها وَنَقدْتُها لكنّها ... نُقِدَتْ مِنَ الشيخ الجليل لِناقِد
أصْدَرتُها وَلَوانّني نِلتُ المُنى ... لَصَحَبْتُها في ضمنِ لَفظ شارد
وَلقدْ بَذَلتُ لكَ المودّة مَحْضة ... والله والقولُ المُنَقَّحُ شاهِدي
وَوَثِقْتُ مِنكَ بنيلِ ما أنا آمِلٌ ... وَلَوانّهُ لَمْسُ النُّجوم لِقاعِد

[٢]

وقال الشريف الرضي:

رُدُّوا الرُّقادَ إلى المَشوق الساهر ... لِيَعُودَهُ طيفُ الخَيال الزائر
لَو كانَ عندي منهُ ما أُقْري به ... طَيفَ الخيال لكانَ غيرَ مُهاجر
لِمَنِ **الطُّلولُ** بِمنحني الأجزاع مِنْ ... ذات الأراكة والكثيب العاقر(٣٥)
دارٌ بمُنعرَج اللِّوى والدَّيْرة الحمـ ... ـراء مِنْ وادي الغضا لِتُماضِر(٣٦)
ألقى مراسِيَهُ بها وَتَهدَّلَتْ ... منهُ العَزالى كلُّ مُزْن هامر(٣٧)
وَعَفَتْ معالِمَها الرياحُ فما بِها ... إلاّ أثاف كالحَمام الواكِر
في كلّ يوم أرْسُمٌ مِنْ تُوضح ... تَعفُو وَتَقْوى أرْبُعٌ مِن حاجر(٣٨)
حتى أُسائلَ كلَّ رَسْم دارس ... عنهم وأبكي كلَّ رَبْع داثِر

---

(٣٥) الأجزاع، جمع جزع ـ بكسر الجيم وسكون الزاي ـ : منقطع الوادي. العاقر من الرمل: ما لا ينبت، يشبّه بالمرأة التي لم تلد، ويقصد هنا موضعاً خاصاً تصوّره مسكن حبيبته.

(٣٦) تماضر: اسم امرأة يتشبّب بها الشعراء، مأخوذ من قولهم «خذ الشيء خِضْراً مِضْراً وخَضِراً مَضِراً»: أي غضيّاً طريّاً.

(٣٧) تهدّلت: استرخت وأرسلت إلى أسفل. والعزالى ـ بالياء والقصر ـ : العزلاء مؤنث الأعزل: مصبّ الماء من القربة ونحوه. المزن: المطر.

(٣٨) توضح وحاجر: اسم لموضعين معروفين من منازل العرب.

كانتْ محلَّ أوانس وخرائد ... فَغَدتْ مَرادَ كوانِس وَجآذِر(٣٩)
ولربَّما آنَسْتُ في حُجُراتِها ... بيضاء تُؤلِمُها لحاظُ الناظر
رَيّا المَعاصم خَدْلَةٌ(٤٠) أزرارها ... عُقِدَتْ بخوط الخيزُران الناضر
عَجْزاء ماضَمَّ الإزار كأنّهُ ... رملٌ تخاذلَ مِن كثيب هاير(٤١)
عَرَّجتُ في عَرصاتِهنّ فلم أعُج ... إلاّ على طَلَل كرَقْم الزابر(٤٢)
وذكرتُ أياماً هناك نَضَوْتُها(٤٣) ... والذكرُ يُضعِفُ من عَناء الذاكر
فالله جارُهُمُ فإنْ شَطَّتْ بِهِمْ ... يومَ النّوى نُؤْبَ الزمان الجائر
مِنْ مُومن(٤٤) أومُشْئِم أو مُتْهِم ... أو مُعْرق أو مُنْجِد أوغائر
ولقد زَجرْنا الراقصات نَواجياً ... يَشْرَدْنَ أمثال النَّعام النافر
مِنْ كلّ ضاربة بعرْق واشِج(٤٥) ... في السِّرِّ مِنْ آل الجَديل وداعر(٤٦)
وكأنّما قَد شُدَّ مِنها مَيْسُها(٤٧) ... مابينَ خافيَتَيْ عُقاب كاسر
مَحْفِيَّةٌ ترمي بنا كَحَنِيَّة ... تُرمى إلى غرض بسهْم ناقر
حتى نزلْنا ساحة نِلْنا بِها ... عهدَ الأمان مِنَ الزمان الغادر
بمُوَطَّأ الأكناف مُقْتَرب الجنى ... مُستغرب الجدوى سعيد الطائر
عالي بسامي لحظِ عين المُجْتلى ... مِنهُ إلى قُرِ السماء الزاهر

---

(٣٩) الأوانس، جمع الآنسة: طيّبة النفس. الخرائد، جمع الخريدة: البكر التي لم تمسّ قط، أو الحييّة الطويلة السكوت. الكوانس، جمع الكانس: الجواري المحتجبات. الجآذر: ولد البقرة الوحشية، ويكنّى بها عن الجوار الحسان.

(٤٠) خدلة الساق: ممتلئة ضخمة.

(٤١) الهاير: الساقط.

(٤٢) كرقم الزابر: خطّ الكاتب، يريد خلوّ المكان من البيوت المتكاملة.

(٤٣) نَضَوْتُها: قَضَيْتُها.

(٤٤) لعل الصحيح «من ميمن»، أي متوجّه إلى اليمن.

(٤٥) عرق واشج: مشتبك.

(٤٦) لعلّ الصحيح «داغر» بالغين المعجمة، و «آل الجديل» و «داغر» من بطون وأفخاذ العرب. أنظر معجم قبائل العرب ١/١٧٣ و٣٧١.

(٤٧) الميس: الخشبة التي تشدّ على الرحال.

وَ أغَرُّ يَجلو الحادثات كما جَلا ... كِسْفَ الدُّجى فَلَقُ الصباح الباهر
ومجيل أتراء يحدّث حدُّها ... في الخَطْب عن حدّ الصفيح الباتر
وَألَدُّ إنْ عَلَكَ الهدير مُجرجراً ... تخرَس شَقاشقُ كلّ فحل هادر
عزم له في كلّ خطب مُسْدِف ... لألاء ذي شُطَب بِكَفّ الشاهر
يرمي العِدى منهُ بنجم ثاقب ... ينقضُّ من فَلَكِ البروج الدائر
وَشمائل قيسيّة أُدَبِيّة ... كالروض غِبَّ سُرى النَّشاص الماطر(٤٨)
ويَدٌ تفيض لمستميح نوالهِ ... بجمام رَجّاف الغوارب زاخر
ذوشيمة عَبِقَتْ بريّحان العُلى ... كالورد في نَفَس الصديع النائر
صافي النَّدى يدنيك من أقصى المُنى ... بسَماحة والنائل المتواتر
من كان لا يرضى بوَفْر ناقص ... في الناس لم يظفَر بعرْض وافر
قَرْمٌ إذا ما الحرب شُبَّ ضَرامُها ... والموتُ ينظُر نَظْرة المُتَحاذِر
وتَخالُ أسيافَ الكُماة كواكباً ... يَطْلَعْنَ في ليل العَجاج الثائر
يغشى الكريهة تحت غاب من قنا ... يَعْسِلْنَ منه فوق ليث خادر(٤٩)
يغتال جهد مساجليه عَنوَة ... بفعاله والسؤدد المتواتر
قومٌ حَموا خِطَطَ المكارم والعُلى ... عن كلّ باد في الأنام وحاضر
فتداولوها آخراً عن أول ... وتوارثوها كابراً عن كابر
إن يجلِسوا كانوا بُدورَ أهِلَّة ... أو يخطبوا كانوا شموسَ منابر
تالله أي مَدى لمجدِكَ لم يغل ... فيه مَدى شوط العتيق الضامر
ترقى إلى قلل العُلى بمعارج ... لك من أنابيب الوشيج الخاطر
ومُهنَّد مامجَّه فمُ غِمْدِهِ ... إلاّ اكتسى عَلَقَ النجيع المائر
فتعاطَها مِن كفّ نَشْوان الشبا ... يل يستبيك بلَحْظِ طَرْف ساحر
فلقد تجلَّت قَرَّة المَشْتا لنا ... عن وجنتي وَرْد الربيع الباكر
وتبسّم النيروزُ يوقظ بالنَّدى ... نَوْرَ الرياض من النعاس الفاتر
فكأنّما ينهلُّ من قطر الحيا ... فيها صغارُ اللؤلؤ المتناثر

---

(٤٨) النشاص ـ بفتح النون وكسرها ـ : السحاب المرتفع بعضه فوق بعض.

(٤٩) يعسلن: يضطربن ويشتد اهتزازهنّ. الليث الخادر: المقيم في عرينه.

وكـأنّما قـد نُـجِّـدتْ أكـنـافُـهـا بسباسب(٥٠) من كلّ وشي فاخر
وتَـمـرَّحـتْ وُرْقُ الـحَـمـام وطَـرَّبـتْ بتراق لحن العندليب الصافر

(٥٠) في الأصل «بسابب».

[٣]

الخطوط عن الثقات:

الفرق بين القصيدتين لا يخفى على الفضلاء، ولا يقاس شعر الرضي بشعر غيره من أهل العصر.

وكتبه الفضل بن إسماعيل بخطّه.

* * *

لم تزل بلاغةُ العراق أسوغ في الآذان، وأحلى في النظام على تقادم الزمان من بلاغة خراسان، لرقّة هوائها وسلاسة مائها وقرب خطّتها من جزيرة العرب وباحتها ومتاخمتها بلاد الفصاحة والبيان، ومجاورة سكّانها أهل البلاغة واللسان.

فالعراق وما والاها تقاسم(٥١) نجداً [في](٥٢) صحّة هوائها واعتلال نسيمها، وهنّ لها عين قسيمها. وإذا هبّت الرياح شَمالاً بسطت في نجدد العراق يميناً وشِمالاً، وطابت في لياليها الأسحار، وتنفّست بنفحات المسك الرياضُ والأشجار.

و هذه الأسبابُ تفيد أهلَها صحّة في الطباع، وسلامة من الأوجاع، فتصحّ أفهامُهم، وتعذب للسامعين كلامُهم.

و خراسان نأت عن ديار البلاغة بقعتُها، وخلت عن المتحلِّين بالفَصاحة ساحتُها ورقعتُها، فأهلُها عُجْمٌ لغتُهم الرَّطانة(٥٣)، وقلّما توجد فيهم الكِيَسُ والفطانة، وفصاحتُهم تُزري بها اللُّكْنَةُ والفَدامة(٥٤)، ويغلب عليها التكلُّفُ والإختلال، وعلى نظم قلائد هم التهافتُ والإنحلال.

---

(٥١) في الأصل «يقاسم».

(٥٢) الزيادة منّا.

(٥٣) الرطانة: التكلّم بالأعجمية، تراطن القوم وتراطنوا فيما بينهم: تكلّموا بالأعجمية.

(٥٤) الفدم: العيّ عن الكلام في رخاوة وقلّة فهم.

فشعر العراق أبعد شَأواً في حَلْبَةِ الشعر، وأهدى إلى الإصابة في طريق النظم والنثر، لأنّهم ارتضعوا أفاويْق(٥٥) دَرّ الفصاحة لباناً، ونطقوا بألفاظها صبياناً، فكانت لهم لَدوداً ونَشوعاً(٥٦)، يَردُون مناقِعَها يَنْبُوعاً فَينبوعاً، حتى نشأوا وقد مَرنَتْ على الفصيح لسانهم، وأفصحوا باللغة التي ملأت آذانهم، وراثة عن الأُمّهات والآباء، والعصبات والأقرباء. لا كمن سمع البلاغة بعد البلوغ مُتَرَعْرِعاً، واحتلبها متمحّلاً متكلِّفاً متتبِّعاً، وليس التخلُّق كالخليقة، والتلهوق(٥٧) كالسليقة، ولا الدُّرْبَة كالكلفة.

و هيهات أن يكونَ للضباب صَوْبُ السحاب، وللغراب قاب(٥٨) العُقاب، وأن يكون من تَبَوَّأ خراسان كمن تَربَّع بالدَّهْناء(٥٩)، وتَشَتّى الصمان(٦٠) وشرب أحاليب اللقاح، وهبّت عليه صَبا نجد في الرياح، واستظلّ في العِكاك(٦١)، بظلّ السَّمُرات والأراك ، واستاك بفروع البشام(٦٢)، وظلّل وطابَه بالتُّمام(٦٣)، وبكَى بِنَوْح الحَمام، وخاطب الربوعَ بعد الإقواء، وساءل تقاطيع الظباء، واحترش الضبابَ مغتدياً بالكشى والمَكْنِ(٦٤)، وندب الأطلال وبكى على السكن، ونطق بالفصيح، وسكن منابت القَيْصُوم والشِّيْح(٦٥). هل يستوي هو ومن تَدرَّبَ بلغة نيسابور وهراة، هيهات أن يكون ذلك هيهات. هذا هو القول عموماً في شعر الفريقين، عند الإتحاد باللسان العربي، ولغة إسماعيل النبي.

فأمّا خصوصاً في الفحلين: فإنّ فتى الأزد منصوراً،وإن أصبحت الآذان إلى كلامه

---

(٥٥) الأفاويق جمع الفيقة، بمعنى خيار اللبن.

(٥٦) اللدود: الدواء. النشوع: السعوط، الدواء الذي يصبّ في فم المريض.

(٥٧) تلهّق الرجل: أكثر من الكلام.

(٥٨) القاب: المقدار، مابين نصف طرف القوس ووتره.

(٥٩) الدهناء: الفلاة.

(٦٠) الصمّان: أرض غليظة دون الجبل، وهي محاددة للدهناء في شرقي الجزيرة العربية.

(٦١) العكاك : شدّة الحرّ مع سكون الريح.

(٦٢) البشام: شجر طيّب الرائحة تتّخذ عيد انه لإخراج ما دخل بين الأسنان من الطعام.

(٦٣) الوطاب: الشدي العظيم.

(٦٤) الكشى - بضم الكاف - جمع الكشية: شحمة مستطيلة في جنبي الضبّ من العنق إلى أصل الفخذ. و المكن - بفتح الميم و سكون الكاف وكسرها - : بيض الجرادة ونحوها.

(٦٥) القيصوم: ما طال من العشب. الشيح: نبات أنواعه كثيرة كلّه طيّب الرائحة، واحده «شيحة».

صَوْراً(٦٦)، استحلاءاً لنظامه، وتعجّباً من بُعد غَوْره في الفصاحة ومرامه، وبلغ من درجات الشعر مناط العَيّوق والنسر، وأبدع في صنعته كلّ الإبداع، حتى أروى بماء كلامه الرقراق ظمأ الأسماع، ولم يُبق في قوس البلاغة منزعاً، متحقّقاً فيها لا متشبّعاً، تضاهي قلائدُه أوْشحَة المجرّة والجوزاء، يكاد يَخْبُو لديها دَراري السماء، يقرطس(٦٧) سِهامَ البلاغة أهدافُها، ويقشر عن لآلىء البحر من أصدافها، ويمتري مستوعباً أخلافَها، متربّعاً في أوساطها، جامعاً أطرافَها.

فإنّ الشريف الرضيّ أعذبُ كلاماً، وأحلى نظاماً، وأندى بمحاسن الشعر غماماً، وأتمّ فيها تُماماً. بحر لا تكدره الدلاء، ونطق يقصر عنه لو نطق الجوزاء، وقصائد تبهى بمزاينها جبين الأيام، ويتوضّح بضيائها سُدْفُ الظلام، وشواردهنّ بُعدهنّ قريبة من الأفهام، إذا حصلت على البياض بين المداد وألسنة الأقلام، يخوض بها لجج البلاغة أتمّ الخوض، ويَفتنُّ في أنواعها تفنّن الصفراء والحمراء من قطع الروض. فما من باب شَرَع فيه إلاّ عَلَكَ الفصاحة بأشدّ لِحى، حتى كأنّه ألهم الصواب بأسدّ وَحى، وما من بحر ركب سفينه، إلاّ غاص على دُرّه وانتزع دفينَه.

و إن من ولدته هاشم وانتسب إلى مضر الحمراء لَعريقٌ في الفصاحة رأس في الفصحاء، إذا عُضِد بما عُضِد به الرضي من سَلاسة ألفاظ، وبُعد مرمى في المعاني والأغراض.

و ليس يستحيي مفضولٌ فَضَله الشريفُ و إن كان أميرَ المنطق، بليغَ المشرق، فلا إزراء بالقمر وإن بَهَرته الشمسُ، وللعرب الفَصاحةُ مسلَّمةٌ ليست تُنكِرُ ذلك الفُرْسُ.

و هذا حكم يحكم به حكّامُ الفضل، ويسجّل به أُولو التمييز والعقل. ومن تأمّل الكلمتين لم يَطُل به الزمانُ حتى ينقادَ لحكمي وإن كان أبيّاً، ويحطب في حبلي وإن كان ناسا(٦٨). ولولا خوف الملال لوازنتُ بين كل بيتين من الكلمتين، حتى يتبيَّنَ الصبحُ لذي عينين.

كتبه علي بن أحمد الواحدي.

---

(٦٦) أي مائلة ملتفّة إليه، يقال «صار عنقه أو وجهه إلي»: أي أماله وأقبل به عليَّ.

(٦٧) قرطس السهم: أصاب القرطاس، أي الغرض.

(٦٨) لعلّه «بايناً».

تأمّلتُ هاتين القصيدتين فألفَيتُ كلَّ واحدة منهما كالروض الزاهر، غبَّ السحاب الماطر، وكالدُّرِّ المنظوم، والوَشْي المرقوم. إلاّ أنّ التفاوت بين شعريهما كالتفاوت بين أبويهما.

وكتبه أبو نصر صاعد بن الحسين الزوزني بخطّه.

* * *

تأمّلتُ هاتين القصيدتين فوجدتُهما أرقَّ من دمع المستهام، ومن الراح رُقرق بماء الغَمام، ومعانيهما أحسن من دُرِّ الطَّلِّ في أعين الدهر، إذا تفتّحت عيون الرياض غبّ المطر. إلاّ أنّ شعر الرضيّ أرضى، وأقرب إلى الرضا.

وكتبه زكريّا بن الحسن بن زكريّا الزوزني.

* * *

الفاضلُ الفاصلُ بين القَرْمين، حقُّه أن يكون عادلاً مجادلاً عن سَنَن المين، واجتَلَيْتُ الجريدتين فألفَيْتُهما من العُرُب الأتراب، مُعربتين في الإنتساب عن أنساب الأعراب، كلتا تحكي بغرّتها ومقلتها الغزالة والغزال، وتروي برقّتها وعذوبتها الخمرَ والزلالَ. لا يتمكّن من ترجيح إحداهما على الأُخرى، إلاّ من صَعِد في معرفة رسوم الشعر إلى الدرجة الكبرى، فَسِرُّ الشعر عندي أبعد مَنالاً من سُرَّة الشِّعْرى، ومن خال أنّه أكسى من البصل فهو أعرى من المِعْزَل، ونحن بعدُ في العَنُوق ولم نبلغ فيه إلى النُوق، والقَرْمان جاوزا دون العَيُّوق. فالإمساك عن الترجيح بمثلي أحقّ، وشربا من هو من الضبّ أعقّ. ولولا اقتراح هذا الفاضل المحتوي على أجناس الفضل، المتشبّث بأفنان فنون الأدب لَما أثبتُ هذا الفصل.

وكاتبه إسماعيل بن الحسن الأديب.

الحمد لله، والصلاة على رسوله محمّد وآله أجمعين.